مقدّمة المحقّق

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[التوبة: ٣٣].

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٧].

قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾[الأحزاب: ٤٠].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[الأحزاب: ٥٦].

قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾[الفتح: ٢٩].

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ﴾[محمد: ٢].

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على المبعوث رحمة للعالمين، والهادي لعموم الثقلين.

إن خير جليس لأي إنسان على وجه هذه المعمورة هو قراءة سير السابقين الناجحين في هذه الحياة، وخير سيرة، وأعطر ذكرٍ هو سيرة هذا النبي العظيم محمَّد ﷺ.

هذا النبي الذي قد ظهر بين العرب وقد كانوا في انحلال اجتماعي وأخلاقي، وجهل مطبق، وشقاقٍ دائم، فكوّن خير أمّةٍ أخرجت للإنسانية أجمع.

هذا النبي الأمي الذي شع نوره في الآفاق، فكان حجة على الكائنات يوم يقوم الأشهاد إلى رب العباد.

هذا النبي الذي تكلم عنه الغرب، فكان منهم المنصف، ومنهم الجاحد المعاند.

هذا النبي الذي قصرنا في اتباعه، فنبذنا السُّنة وراء ظهورنا، واتبعنا أهواءنا، فأصبحنا ضحايا شهواتنا وإغراءات الحياة الدنيا، فذللنا وضللنا.

وإن من خير الكتب التي جمعت سيرته وشمائله على وجه الاختصار، مع عدم تضييع القارئ وتشتيت ذهنه **كتاب «الفصول في سيرة الرسول ﷺ»** للحافظ الهمام، والجهبذ النحرير ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ.

وهو من الكتب المهمة التي أغفلها الكثير من طلاب العلم، فلم يولوه عنايتهم، ولم يدققوا النظر بين سطوره؛ ظنّاً منهم: أنه مختصر من كتابه الكبير «البداية والنهاية».

علماً: أن هذا الكتاب ـ برغم صغر حجمه ـ فريد في بابه، يحوي درراً كامنةً من سيرة خير إنسانٍ أشرقت عليه الأرض، وخير إمام حُقَّ لسيرته أن تتعطر بها الأفواه، وتشدو بها الشفاه.

فهو كتابٌ قسَّمَهُ مؤلفه إلى جزأين لطيفين:

الأول: في سيرته ﷺ ومغازيه.

والثاني: في شمائله العطرة مرتبة على الأبواب الفقهية.

وهو تقسيمٌ لطيفٌ لم يسبقه أحدٌ إليه.

وهو كتابٌ سطره بمداد قلمه الحاني والحادي لمحبوبه ومحبوب الكائنات أجمع، وقرة عينه وأعين محبيه ﷺ.

*** صحة نسبة الكتاب إلى المصنف:**

ذكره المصنف في «البداية والنهاية» (٦/ ٢٧١).

وأشار إليه في «تفسيره» في تفسير سورة الأحزاب، فقال: وهذا كله مقرر مفصل بأدلته وأحاديثه وبسطه في كتاب السيرة الذي أفردناه موجزاً وبسيطاً، ولله الحمد والمنة.

ذكره حاجي خليفة في «كشف الظنون» (٢/ ١٩٢): وسماه: «الفصول في سيرة الرسول ﷺ».

وقال ابن العماد في «شذرات الذهب» (٦/ ٢٣١): وله سيرة صغيرة.

وقد استشكل الشيخ أحمد شاكر في «عمدة التفسير» (١/ ٣٥) ذلك، وقال: إن المطبوع غير كامل يقيناً، فلا أدري أقتصر المؤلف على هذا القدر، أم فُقد باقي الكتاب؟

وقال الدكتور الزحيلي: أما الدكتور الندوي، فينقل عبارات الشوكاني في كتب ابن كثير، ويستنبط وجود كتابين لابن كثير، ويؤيد كلامه بما ذكره حاجي خليفة والبغدادي من الإشارة إلى كتاب «الكواكب الدراري» الذي انتخبه ابن كثير من «البداية والنهاية».

وإني أرجح الكلام الأخير، وأن ابن كثير صنف كتابين في السيرة: مطولة، ومختصرة، وكتابين في التاريخ: مطول، ومختصر، وهما: «البداية والنهاية»، و«الكواكب الدراري»، وضم كتاب السيرة المطول إلى «البداية والنهاية». وضم الكتاب المختصر «الكواكب الدراري» إلى السيرة المختصرة = «الفصول»، فصارت الكتب أربعة.

وهذا يتفق مع منهج ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في اختصار كتب غيره، ومنهجه في تصنيف كتب مطولة، ثم العمل على اختصارها؛ ليراعي مستوى الطلاب والعلماء في ذلك، وكلام ابن كثير في مقدمة «الفصول» يؤكد ذلك، وهذا أمر حسن، فالإنسان لا يستوعب قراءة «السيرة» في أربع مجلدات، فاختصرها في مجلد وسط، ولا يمكنه استيعاب «البداية والنهاية» في أربعة عشر مجلداً، فاختصرها في ثلاثة مجلدات لمعرفة التواريخ الإسلامية... وذكر أيام الإسلام بعده إلى يومنا هذا، مما يمس حاجة ذوي الأرب إليه، فجزاه الله خير الجزاء، ورحمه الله رحمة واسعة، وأجزل مثوبته.

ولا شك أن كتبه الثلاثة: «السيرة النبوية»، و«الفصول في سيرة الرسول»، و«شمائل الرسول، ودلائل نبوته، وفضائله، وخصائصه». هي من أهم ما كتب في

السيرة النبوية العطرة، وأشـملها، وأدقها، ولذلك سنفرد لها دراسة مستقلة في هذا الفصل؛ لبيان ميزاتها ومنهجها.

*** منهجه في وضعه لهذا التصنيف:**

إن المنهج الذي سار عليـه الْمُصنِّفُ فـي هذا المُصَنَّفِ: هو منهج أهل الحديث الـذي رضع حبه، وارتشف مـن ربيع زهوره، وأحبه حباً شديداً.

فهو يبرهن على ما قاله أهل العلم؛ بالعزو إلى من نقل عنهم من الصحاح والسنن، وتأريخ السلف الصالح، وإبدائه آراءه الاجتهادية التي ارتأى أنها ضرورية جداً.

فكان منهجه في ذلك:

- عدم ذكر الأقوال الكثيرة، بل الفكرة والدليل.
- اعتماده على الكتاب العزيز أوّلاً، والسّنة المطهرة ثانياً، وأقوال الصحابة ثالثاً، والتابعين رابعاً.
- نقله أحاديث، وعزوها إلى مصادرها، علماً أنه أحياناً يعزو بعض الأحاديث إلى مظانِّها، ولم أجدها في المطبوع منها.
- تحري الدقة في إيضاح الصحيح من الأقوال.
- وضوح العبارة التي يريد إيصالها إلى المتلقي.
- البساطة وعدم الإطناب.
- الحب الشديد لصاحب الشرف والمقام المحمود ﷺ.
- رغبته الجامحة للمعتنين بحب الرسول إلى قراءة السيرة خالية من الشوائب والدسائس، كأنه يعلمنا أن كتابه هذا صالح لجميع المتلقين في أي زمان ومكان.
- السهولة في تلقي المعلومة الصحيحة والمغنية عن التطويل.
- المتطلع لهـذا الكتاب: يجـد أن معظمـه مأخوذ من كتاب «زاد المعاد» للعلامة ابن قيم الجوزية؛ مما يبرهن أنه اعتمد عليـه، وجعله من مصادره التي اعتمد عليها.

[مقدّمة المؤلِّف]

الحمدُ للهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الّذينَ اصطفى، حمداً كثيراً طيّباً مُباركاً فِيه كَمَا يُحِبُّ ربُّنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك لهُ، شهادة من أخلص له قَلْبَهُ، وانجابت عنه أكدار الشِّرك وصفا، وأقرَّ لهُ بِرِقِّ العبودية، واستعاذ به من شرِّ الشَّيطان والهوَى، وتمسك بحبله المتين، المُنَزَّلِ على رسوله الأمين محمَّد خير الورى، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ دائماً إلى يوم الحشر واللِّقا، ورضي الله عن أصحابه وأزواجه وذريته وأتباعه أجمعين، أولي البصائر والنهى.

أما بعد:

فإنه لا يجمل بأولي العلم إهمال معرفة الأيام النبوية، والتواريخ الإسلامية، وهي مشتملة على علوم جَمَّةٍ، وفوائدَ مهمة، لا يستغني عالم عنها، ولا يُعذر في العروِّ منها.

وقد أحببتُ أن أعلّق تذكرةً في ذلك؛ لتكون مدخلاً إليه، وأنموذجاً، وعوناً له وعليه، وعلى الله اعتمادي، وإليه تفويضي واستنادي، وهي مشتملة على:

١ ـ ذكر نَسَب رَسُول الله ﷺ[1]؛

٢ ـ وَسِيرَته؛

٣ ـ وأعلاَمه؛

٤ ـ وذكرِ أيّام الإسلام بعده إلى يومنا هذا.

مما يمس حاجة ذوي الأرب إليه، على سبيل الاختصار ـ إن شاء الله تعالى ـ.

❐ ❐ ❐

(١) في المطبوع: (عليه الصلاة والسلام).